AL HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTRE
Al-Hikmah International Journal for Islamic Studies & Human Sciences
E-ISSN: 2637-0581

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإتسانية
العدد 8، الرقم 4، ديسمبر 2025
E-ISSN: 2637-0581

مقالات الفرق الإسلامية في مفهوم الإيمان عند ابن حزم من خلال كتابه "الفَصْل في الملل والنحل": عرض ونقد

The concept of faith according to Islamic sects in Ibn Hazm's book: Al-Fasl fi al-Milal wa al-Nihal: A View and Critique

قيس السعيدي Saidi kais
International Islamic University Malaysia
essaidikais123@gmail.com

Article Progress

Received: 3 July 2025
Revised : 20 Oct 2025
Accepted: 19 Nov 2025

* Corresponding Authors:

Saidi kais

E-mail: *essaidikais123@gmail.com*

ملخص البحث

يرى بعض الباحثين أن ابن حزم الأندلسي قد تحرى الدقة في ضبط مقالات الفرق في كتابه: الفَصْلُ في الملل والنحل، ويرى البعض الآخر عكس ذلك، أي أنه قد وقع منه أخطاء وأوهام في عزو بعض المقالات إلى أصحابها، غير أنهم يعتذرون له ويرون أن هذا الخلل كان بسبب شحة المصادر والمراجع في بلاده الأندلس زمن تأليفه لكتابه، وذلك نظرا لبعد بلاد الأندلس عن المشرق الإسلامي وتأخر وصول الكثير من كتب العلماء المشارقة إليها إلى ما بعد وفاة ابن حزم. ويتناول هذا البحث دراسة مسألة تعريف الإيمان عند الفرق الإسلامية في كتاب: الفَصْل في الملل والنحل لابن حزم، باعتباره نموذجا نحاول من خلاله معرفة أي الرأيين كان أقرب إلى الحق، ولتحقيق هذا الهدف اعتمدت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على تتبع وتحليل ما عزاه ابن حزم من مقالات للفرق في باب تعريف الإيمان، والمنهج النقدي المقارن للنظر والتحقق في مدى دقة ابن حزم في عزوه لتلك المقالات إلى أصحابها، وقد توصلت الدراسة إلى ترجيح القول الثاني وهو أن ابن حزم قد وقع منه عدة أخطاء وأوهام في نسبة مقالات الفرق في تعريف الايمان إلى أصحابها.

الكلمات المفتاحية: ابن حزم، تعريف الإيمان عند الفرق الإسلامية، كتاب الفَصْل في الملل والنحل.

ABSTRACT

Some researchers hold that Ibn Ḥazm al-Andalusī was precise in documenting the views of the sects in his book, Al-Faṣl fī al-Milal wa-al-Niḥal, while others hold the opposite view, in other words, that he made errors in attributing some views to their adherents. However, they excuse him, believing that this flaw was due to the scarcity of sources and references in his country, Andalusia, at the time he authored his book, because of Andalusia's remoteness from the Islamic East and the delayed arrival of many books by Eastern scholars until after Ibn Ḥazm's death. This research addresses the issue of the definition of faith (Īmān) among Islamic sects in his book, Al-Faṣl, considering it a model through which we attempt to determine which of the two opinions is closer to the truth. To achieve this objective, this study adopted the inductive-analytical method to trace and analyse the views that Ibn Ḥazm attributed to the sects in the chapter on the definition of faith, and the comparative-critical method to examine and verify the accuracy of his attribution of those views to their adherents. The study concluded by favouring the second opinion, which is that Ibn Ḥazm made several errors in attributing the views of the sects on the definition of faith to their adherents.

Keywords: Ibn Ḥazm, the definition of faith among Islamic sects, the book Al-Faṣl fī al-Milal wa-al-Niḥal.

المقدمة

يُعدُ كتاب الفَصل في الملل والنحل لأبي محمد بن حزم الأندلسي من أبرز الأعمال الرائدة في علم مقالات الفرق ومقارنة الأديان، ورغم مرور حوالي ألف سنة على تأليف هذا الكتاب فإنه ما زال يحظى باهتمام كبير عند كثير من المشتغلين بعلم الأديان والمقالات والفرق، سواء من المسلمين أو من المستشرقين المشتغلين بتراث الحضارة العربية الإسلامية، وقد كُتِبت العديد من البحوث والدراسات حول هذا الكتاب واتفقت كلمة الجميع على الثناء والإعجاب بعقل ابن حزم وبتميز كتابه بالسبق والشمول وغزارة المادة العلمية، إلى جانب طول النفس في المناقشة والتحليل.

ولكن مهما بلغت جودة أي كتاب، ومهما اجتهد أي مصنِفٍ في تحقيق مباحث كتابه وتحرير مسائله، يَأْبَى الله تبارك وتعالى أن يكون الكمال إلا لكتابه الكريم، ويظل كل

عمل بشري مشوباً بشيء من الخلل والتقصير وتلك سنة الله ماضيةٌ في خلقه، فلا يخلو كتاب من شيء من المآخذات والانتقادات التي تستدرك عليه، ومن ضمن الانتقادات التي وجهت لكتاب ابن حزم نسبته عدة مقالات غريبة ومنكرة إلى جمع من الأئمة الإعلام ومنها:

1. ما نسبه إلى الإمام الشافعي (ت: 204هـ) وداود الظاهري (ت: 270هـ) وعبد العزيز الكناني (ت: 240هـ) أنهم لا يثبتون صفة السمع والبصر لله تبارك وتعالى، فقد قال في كتابه الفصل في الملل والنحل:" وذهب طوائف من أهل السنة منهم الشافعي، وداود بن علي الأصفهاني إمام أهل الظاهر، وعبد العزيز بن مسلم الكناني وغيرهم، إلى أن الله تعالى سميع بصير ولا نقول يسمع ولا نقول يبصر، ولكن سميع بذاته، بصير بذاته". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 2, p. 1095)
2. ما نسبه إلى الحسن البصري (ت: 110هـ) في رواية عنه أنه قال بنفي رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة، قال ابن حزم:" ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان إلى أن الله تعالى لا يرى في الآخرة، وقد روينا هذا القول عن مجاهد والحسن البصري وعكرمة". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 2, p. 1231)
3. ما نقله عن المفسر المشهور مقاتل بن سليمان أنه كان يقول: لا يضر مع الإيمان سيئة ولا ينفع مع الشرك حسنة، قال ابن حزم:" قال مقاتل بن سليمان وكان من كبار المرجئة: لا يضر مع الإيمان سيئة جلَّتْ أو قلَّتْ أصلا، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلا". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 577) وقد رد ابن تيمية هذه الرواية ولم يقبلها وقال إن الأشبه أنها من الكذب، قال ابن تيمية في شرح الأصفهانية:" ويذكر عن غُلاتِهم أنهم نفوا الوعيد بالكلية، لكن لا أعلم مُعَيَّناً معروفاً أذكر عنه هذا القول، ولكن حُكِيَ هذا عن مقاتل بن سليمان والأشبه أنه كذب عليه". (Ibn Taymiyyah, 2004, p. 198)

وهذه الأخطاء تقودنا إلى ضرورة بحث هذا الموضوع وندب طلبة العلم لإعادة النظر فيه، ولعل فكرة أن ابن حزم كان دقيقاً في نقل المقالات تقررت عند بعض الباحثين بسبب ندرة الدراسات التي خصصت لتقييم مدى دقة ابن حزم في نقل مذاهب الفرق وأصحاب المقالات، ولقلة التنبيه على الأخطاء والأوهام التي وقع فيها ابن حزم في هذا الباب سواء في مبحث معين من مباحث العقيدة أو في كامل كتابه الفَصْل في الملل والنحل. ولهذا فإن بحثنا هذا والذي أخترنا له عنوان: مقالات الفرق الإسلامية في مفهوم الإيمان عند ابن حزم من خلال كتابه الفَصْل في الملل والنحل، هو محاولة لِلَفْتِ الانتباه إلى هذه المسألة المغفول عنها، ومحاولة لسَدِّ ثغرة ولو بسيطة في تقييم مدى دقة ابن حزم في نقل مقالات الفرق في باب من أبواب العقيدة وهو: تعريف الإيمان عند الفرق الإسلامية.

مشكلة البحث

يرى بعض أهل العلم أن ابن حزم الأندلسي قد وقع منه عدة أخطاء في ضبط مقالات الفرق في كتابه الفصل في الملل والنحل، ويرون أن أسباب ذلك تعود إلى تأخر وصول العديد من المراجع والكتب إلى بلاد الأندلس في زمن تأليف ابن حزم لكتابه، وتكمن مشكلة هذا البحث في ندرة الدراسات التي اعتنت بجرد كتاب ابن حزم وجمع هذه المقالات وتصويبها والتنبيه عليها، ولذلك فإن هذه الدراسة تأتي كمساهمة جزئية في سد هذه الفجوة المعرفية، وقد خصصت لدراسة مدى دقة ابن حزم في عزوه لمقالات الفرق في باب تعريف الإيمان، وهي محاولة لتسليط الضوء على ضرورة جرد جميع مباحث كتاب الفَصْل، والتنبيه على المواضع التي جانب فيها ابن حزم الصواب فيما عزاه إلى الفرق من مقالات لا تصح نسبتها إليهم، نظرا لأهمية هذا الموضوع ومحوريته في علم مقالات الفرق.

أهداف البحث

1. تتبع المقالات التي نسبها ابن حزم إلى مختلف الفرق الإسلامية في تعريف الإيمان، ثم تحليلها والنظر إلى مدى دقته في نسبة هذه المقالات إلي تلك الفرق.
2. تحرير مقالات الفرق الإسلامية في تعريف الإيمان، ومقارنتها بما نسبه ابن حزم لتلك الفرق من المقالات في هذا الباب، وبيان المواضع الدقيقة التي أخطأ فيها ابن حزم في عزوه تلك المقالات إلى أصحابها.
3. محاولة إبراز الأسباب الرئيسية التي أدت إلى وقوع ابن حزم في هذه الأخطاء.
4. لفت النظر إلى ضرورة عدم التسليم بما ينسبه ابن حزم من مقالات إلى الفرق الإسلامية في جميع أبواب العقيدة.

منهج البحث

سيعتمد الباحث في هذه الدراسة على منهجين اثنين وهما:

1. **المنهج الاستقرائي التحليلي**: حيث سيتم تتبع المقالات التي نسبها ابن حزم إلى سائر الفرق الإسلامية في تعريف الإيمان، ثم سيقوم الباحث بتحليلها وشرحها من منظور ابن احزم.
2. **المنهج النقدي المقارن**: حيث سيتم مناقشة ونقد ما نسبه ابن حزم من مقالات في تعريف الإيمان لتلك الفرق، في ضوء كلام غيره من أهل العلم، مع بيان المواضع الدقيقة التي جانب فيها ابن حزم الصواب في نسبة تلك المقالات إلى تلك الفرق.

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى: منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية: وهي مقالة علمية لمجيد خلف منشد، تكلم فيها عن منهج ابن حزم في دراسة الفرق الإسلامية من خلال كتابه الفصل في الملل والنحل، فذكر أهم الأسس والآليات التي اعتمدها؛ كاستشهاده باللغة،

وأسلوبه في الكتابة، ومنهجه في الاستدلال وعرض الآراء ومناقشتها. وذكر سعة علمه بأعلام المتكلمين ومصطلحاتهم.

الدراسة الثانية: ابن حزم بين الفلاسفة والمتكلمين: وهي رسالة علمية لعبد السلام سعد، ذكر فيها الكاتب موقف ابن حزم من المقالات الفلسفية والطبيعيات، وبحث آرائه الكلامية في باب الإلهيات وباب النبوات وباب السمعيات.

الدراسة الثالثة: موقف الإمام ابن حزم من الفرق الإسلامية عرض ونقد: وهي مقالة علمية لأحمد حامد دسوقي، تكلم فيها عن أصول الفرق وعددها عند ابن حزم، وعن أسباب ظهور الفرق من منظوره، وعن مناقشته لأشهر الفرق الكلامية في عدة محاور، ومنها باب الأسماء والأحكام.

تقسيم ابن حزم للمقالات في تعريف الإيمان وعزوها لأصحابها

كغيره ممن كتب في باب الأسماء والأحكام بدأ ابن حزم هذا الباب بالكلام على ماهية الإيمان وتعريفه عند مختلف الفرق الإسلامية وأصحاب المقالات، فأورد في ذلك خمسة أقوال:

القول الأول: قول الجهم بن صفوان والإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

القول الثاني: قول محمد بن كرَّام إمام الفرقة المعروفة بالكرَّامية.

القول الثالث: قول الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله وجماعة من الفقهاء.

القول الرابع: قول سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة والخوارج.

القول الخامس: قول محمد بن زياد الجَريري الكوفي. (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116)

نقد ومناقشة ابن حزم فيما نسبه إلى الجهم بن صفوان وإلى الإمام أبي الحسن الأشعري من مقالات في تعريف الإيمان

أولا: مقالة الجهم بن صفوان

قال ابن حزم:" ذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط وإن أظهر اليهودية والنصرانية أو سائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته، فإذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة، وهذا قول أبي محرز الجهم بن صفوان". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116)

وقد وقع ابن حزم في شيء من الخطأ فيما ادعاه من أن الجهم بن صفوان يرى أن من أظهر اليهودية أو النصرانية أو أي ديانة أخرى أنه مسلم من أهل الجنة إذا عرف الله بقلبه، وهذا لأن الجهم لا يقول بذلك بإطلاق، بل عنده تقييدات لم يذكرها ابن حزم أو لم يطلع عليها. ورغم أن أهل العلم يذمون الجهم بن صفوان، وينسبونه إلى البدعة وهم في ذلك محقون كل الحق، إلا أن بغضه والنفرة من مقالاته لا تمنعنا من انصافه، ولا يبيح لنا أن ننسب إليه ما لم يقله تعسفا دون تحقيق وتثبت.

وحقيقة مقالة الجهم بن صفوان في الإيمان بحسب ما نقله عنه الإمام أبي الحسن الأشعري (ت:324هـ) في كتابه: مقالات الإسلاميين، أنه يرى أن الإيمان شيء واحد وهو معرفة الله القلبية المجردة عن أي عمل من أعمال القلب أو الجوارح، والكفر عنده كذلك هو شيء واحد منحصر في الجهل القلبي بالله تبارك وتعالى فقط لا غير. وبناء عليه فإن أقوال العباد وأفعالهم لا تعد كفرا بذاتها حسب رأيه، ولكنها تعتبر دليلا محتملا وليس قطعيا على وجود الكفر في قلوب أولئك العباد، لأن الكفر عنده منحصر في الجهل بالله وانعدام المعرفة القلبية به. ويرى الجهم بن صفوان أن كل من سماهم الله كفارا فليس بسبب أفعالهم وأقوالهم الظاهرة، ولكن بسبب اطلاع الله تبارك وتعالى على انعدام معرفتهم القلبية وجهلهم به تعالى، فكل من نسبوا إلى الكفر في الكتاب والسنة أفرادا وجماعات بحسب رأيه إنما كفرهم الله

ورسوله لخلو قلوبهم من المعرفة بالله تبارك وتعالى. (al-Ashʿarī, 2005, Vol. 1, pp. 114, 219; Vol. 2, p. 358)

والخطأ الذي وقع فيه ابن حزم أنه نسب إلى الجهم بن صفوان أنه يحكم بإيمان من أظهر اليهودية والنصرانية إذا كان عارفا لله بقلبه، وهذا ليس صحيحا لأن الجهم وأصحابه ثبت أنهم يستثنون من ذلك من كفره الله ورسوله أو أجمع المسلمون على كفره كاليهود والنصارى.

فمن الاعتراضات التي اعترض بها أهل العلم على الجهم وأصحابه، أن القول بأن الإيمان مجرد المعرفة القلبية يلزم عنه أن إبليس وفرعون واليهود والنصارى مؤمنون وقد كفرهم الله ورسوله وانعقد إجماع المسلمين على ذلك، وهذا إلزام قوي لم يجد الجهم وأصحابه بُدًّا من قبوله، فاستثنوا نسبة الإيمان إلى من كفره الله ورسوله أو أجمع المسلمون على كفره، قال تقي الدين ابن تيمية بعدما أورد إلزامات الإمام أحمد لأقوال الجهم وأصحابه:" وهذا الإلزام لا محيد لهم عنه ولهذا لما عرف متكلمهم مثل جهم ومن وافقه أنه لازم التزموه، وقالوا: لو فعل كان بذلك كافراً في الباطن، لكن يكون دليلا على الكفر في أحكام الدنيا، فإذا احتج عليهم بنصوص تقتضي أنه يكون كافرا في الآخرة، قالوا: فهذه النصوص تدل على أنه في الباطن ليس معه من معرفة الله شيء". (Ibn Taymiyyah, 2004, Vol. 7, p. 401)

وفي نهاية هذا الانتقاد الذي أوردناه في عدم ضبط ابن حزم لمقالة الجهم بن صفوان في مفهوم الإيمان، لو أردنا أن نعتذر لهذا الوهم الذي وقع فيه ابن حزم الأندلسي بنسبته للجهم بن صفوان القول بإيمان من أظهر الكفر بأفعاله كاليهود والنصارى مطلقا دون تقييد أو تفصيل، لقلنا لعل الأمر عائد إلى قلة المراجع والكتب المتعلقة بمقالات الفرق في بلاد الأندلس زمن ابن حزم، لبعد شقتها عن المشرق العربي، أو لتأخر وصول تلك الكتب إلى الأندلس إلى ما بعد القرن الخامس الذي عاش فيه ابن حزم، أو قد يكون معتقد الجهم قد نقل إلي ابن حزم مشافهة باختصار مخل، إذ من الغريب أن يغيب عن ابن حزم حقيقة

مذهب الجهم بن صفوان، ومن المستحيل أن ينسب له ابن حزم لازم قوله أو ما يؤول إليه، فمن المعلوم أن لازم القول ليس بقولٍ ولازم المذهب ليس بمذهب إلا إذا ألتزمه صاحبه وأقر به، وابن حزم عارف بذلك فهو القائل:" وأما من كفَّر الناس بما تؤول إليه أقوالهم، فخطأ لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 205)

ثانيا: مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري (ت:324هـ)

نسب ابن حزم إلى الإمام الأشعري وأصحابه أنهم يقولون بأن الإيمان هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، وإن أظهر العبد اليهودية أو النصرانية أو سائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته فهو مسلم من أهل الجنة، ونُذَكِّر بنص كلامه ثم نُورد ما عليه من المآخذات، قال ابن حزم:" اختلف الناس في ماهية الإيمان المسمى به في الديانة، فذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط وإن أظهر اليهودية والنصرانية أو سائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته، فإذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة، وهذا قول أبي محرز الجهم بن صفوان وأبي الحسن الأشعري البصري وأصحابهما. (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116)

الانتقاد الأول: ضحالة علم ابن حزم بمقالات الإمام الأشعري والروايات المنقولة عنه

قصر ابن حزم عندما نقل قولاً واحداً مشوهاً مفتقراً للدقة عن الإمام الأشعري وأصحابه في تعريف الإيمان، وذلك أن الإمام الأشعري يُنْقَلُ عنه من كتبه التي ألفها أكثر من رواية في تعريف الإيمان، وسنذكر هذه الروايات التي أغفلها ابن حزم أو لم يطلع عليها، معتمدين في ذلك على كتب الإمام الأشعري التي وصلتنا والتي ورد فيها نص من كلامه في تعريف الإيمان، وهذه الكتب هي: كتاب الإبانة عن أصول الديانة، وكتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، وكتاب: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، وكتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ونضيف إلى ذلك كتاب: مجرد مقالات الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي بكر محمد

بن الحسن بن فورك (ت: 406هـ)، وهذا الكتاب جمع فيه ابن فورك مقالات الإمام الأشعري معتمدا في نقلها على مجموعة من كتبه التي لم تصلنا.

الرواية الأولى: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

صرح الإمام الأشعري بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص في كتابه: الإبانة عن أصول الديانة فقال:" ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف، ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص". (al-Ashʿarī, 2011, p. 239) وشرح معنى زيادة الإيمان ونقصانه في كتابه: رسالة إلى أهل الثغر فقال:" وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به ولا جهل به، لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كنّا جميعاً مؤدين للواجب علينا". (al-Ashʿarī, 1992, p. 155)

ونص الإمام الأشعري على مذهبه في الإيمان كذلك في كتابه مقالات الإسلاميين بعد سرده لاعتقاد أصحاب الحديث وأهل السنة، ومن ضمن مقالاتهم أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ثم ختم مقالاتهم بقوله:" وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير". (al-Ashʿarī, 2005, Vol. 1, pp. 226–229)

الرواية الثانية: الإيمان هو التصديق

الرواية الثانية عن الإمام الأشعري في تعريف الإيمان وردت في كتابه: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، وهي أن الإيمان هو التصديق بالله تبارك وتعالى، قال رحمه الله:" إن قال قائل ما الإيمان عندكم بالله تعالى؟ قيل له هو التصديق بالله وعلى ذلك اجتماع أهل اللغة". (al-Ashʿarī, 1955, p. 123)

واختلفت الرواية عن الإمام أبي الحسن الأشعري في معنى التصديق على قولين، أحدها أنه المعرفة بوجود الله وألوهيته، والرواية الثانية أن التصديق قول في النفس متضمن للمعرفة، قال الشهرستاني (ت:548هـ):" واختلف جواب أبي الحسن رحمه الله في معنى التصديق، فقال مرة هو: المعرفة بوجود الصانع والإلهية وقِدمه وصِفاته، وقال مرة التصديق: قول في النفس يتضمن المعرفة، ثم يعبر عن ذلك باللسان، فيسمي الإقرار باللسان أيضا تصديقا، والعمل على الأركان أيضا من باب التصديق". (al-Shahrastānī, 2004, p. 263)

الرواية الثالثة: الإيمان هو المعرفة

هذه الرواية نقلها أبو بكر بن فورك في كتابه مجرد مقالات الإمام أبي الحسن الأشعري، حيث ذكر أن في بعض كتب الإمام ولم يذكر اسم هذا الكتاب، أن الإمام الأشعري نقل معتقد أبي الحسين الصالحي في مسمى الإيمان وهو أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى أنه واحد وأن العبادة لا تصلح إلا له، ومعنى المعرفة هو الخضوع لله تعالى. (Ibn Fūrak, 2022, p. 219)

فهذه ثلاث روايات عن الإمام الأشعري في تعريف الإيمان، وروايتان في معنى التصديق نقلهما الشهرستاني، ولو أنصف ابن حزم لذكرها كلها، أو لذكرها ثم رجح أي هذه الروايات استقر عليها رأي الإمام الأشعري بالدليل، ولكن الظاهر أنه لم يكن عنده سعة علم واطلاع على مقالات الإمام الأشعري وكتبه والروايات عنه، فلم تصله عنه إلا رواية واحدة.

الانتقاد الثاني: نسبة ابن حزم قولاً واحداً في تعريف الإيمان إلى جميع أصحاب الإمام الأشعري

وهذا هو الخطأ الثاني الذي وقع فيه ابن حزم، وهو نسبته إلى أصحاب الإمام الأشعري قولا واحدا مشوهاً وغير دقيق ولا محرر، وفي الواقع فإن بسبب تعدد الروايات عن الإمام الأشعري في تعريف الإيمان كما بينا آنفا، فقد انقسمت أقوال أصحابه المتقدمين والمتأخرين إلى أربعة

أقوال: **القول الأول**: أن الإيمان هو تصديق القلب، **والقول الثاني**: أن الإيمان قول وعمل بمعنى أنه قول القلبِ وعملهُ وعمل اللسانِ والجوارح، **والقول الثالث**: اختار أصحابه القول الأول وهو أن الإيمان هو التصديق، ولم يخطؤوا القول الثاني، وهو أن الإيمان قول وعمل بل جعلوه قولا قويا، **والقول الرابع**: أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان.

وفيما يلي تفصيل في أقوال أصحاب الإمام الأشعري السابقين لابن حزم والمعاصرين له، وفي هذا رد عليه وتعقب له، ونذكر كذلك كلام طائفة من أئمة المذهب الذين جاؤوا من بعد ابن حزم، وهذا حتى نقطع كلام من اغتر بكلام ابن حزم وحسبه صحيحاً، وللتأكيد على أن الخلاف في المذهب كان موجودا قبل وبعد وفاة ابن حزم، وتجدر الإشارة إلى أن ما لا يعلمه كثير من الناس أن الخلاف داخل المذهب الأشعري كثير جدا وفي مئات المسائل ويدرك ذلك الناظر في المطولات، ويشهد لهذا قول تاج الدين السبكي في منظومته المسمات: الورد خدك، حيث يقول فيها:

والأشعرية بينهم خلف إذا ** عدت مسائله على الإنسان

بلغت مئين وكلهم ذو سنة ** أخذت عن المبعوث من عدنان

(Tāj al-Dīn al-Subkī, 1992, Vol. 3, p. 388)

القول الأول من أقوال أصحاب الإمام الأشعري: الإيمان هو التصديق

هذا هو القول الأول وعليه أكثر أصحاب الإمام الأشعري رحمه الله، وتعداد أسمائهم ونقل نصوصهم في ذلك يطول، ولذلك سنقتصر على ذكر تعريف الإيمان عند علمين من أعلام المذهب، وقد كانا معاصرين لابن حزم وهما أبو بكر بن فورك (ت:406هـ)، وأبو المعالي الجويني (ت:478هـ).

قال أبو بكر بن فورك: "حد الإيمان: هو العلم بالله سبحانه وتعالى وتصديق القلب وإقراره مضمن له". (Ibn Fūrak, 1999, p. 108)

وقال أبو المعالي الجويني:" والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى، فالمؤمن بالله من صدقه، ثم التصديق على التحقيق كلام النفس ولكن لا يثبت إلا مع العلم". (al-Juwaynī, 2009, p. 306)

القول الثاني من أقوال أصحاب الإمام الأشعري: الإيمان قول وعمل

اختار هذا القول: محمد بن مجاهد الطائي تلميذ الإمام الأشعري، وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القلانسي، وأبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي، وقد نقل هذا أبو القاسم الأنصاري (ت:512هـ) تلميذ أبي المعالي الجويني (ت:478هـ) وشيخ أبي الفتح الشهرستاني (ت:548هـ) في شرحه على كتاب الإرشاد للجويني، وهذا الشرح يعد من مطولات كتب المذهب الأشعري. (al-Anṣārī, 2022, Vol. 3, p. 408)

القول الثالث من أقوال أصحاب الإمام الأشعري: قول من اختار أن الإيمان هو التصديق، ولم يخطِىء من قال إنه قول وعمل

وممن أختار هذا المسلك نذكر ثلاثة من أئمة المذهب الأشعري، وهم: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:403هـ) وأبو حامد الغزالي (ت:505هـ) وتلميذه القاضي أبو بكر بن العربي (ت:543هـ)، والفخر الرازي (ت:606هـ)، وفيما يلي ننقل كلامهم في ذلك:

أولا: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت:403هـ): قال في الإنصاف:" وأعلم أننا لا ننكر أن نطلق القول بأن الإيمان عقد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان". (al-Bāqillānī, 2000, p. 53)

ثانيا: أبو حامد الغزالي (ت:505هـ): قال في قواعد العقائد:" فإن قُلتَ: فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل، وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان: عقد وقول وعمل، فما معناه؟ قلنا: لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم". (al-Ghazālī, 1985, p. 258)

ثالثا: القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت: 543هـ): القاضي أبو بكر بن العربي المالكي كان والده أحد تلاميذ ابن حزم، وللقاضي ابن العربي تحقيق مطول نسبيا في كتابه: سراج المريدين، خلص فيه إلى أن الإيمان والإسلام شيء واحد شرعا يطلقان على الأقوال والأفعال، وعلَّلَ ما جرى على ألسنة أغلب متكلمي المذهب الأشعري من تسميتهم الإيمان تصديقا أو علما فقط، بأن العلم والتصديق يطلق على القول والعمل كذلك ولكن مجازا وليس حقيقة، وأن هذا المجاز مجاز صحيح باعتبار أن التصديق والعلم مقدمة يبنى عليهما القول والعمل، فلا قولَ ولا عملَ بدون علم وتصديق، وأضاف بأن متكلمي المذهب الأشعري اختاروا هذا القول عن فهم ودراية وقصد، وذلك منعا من أن يلزمهم خصومهم من الخوارج والمعتزلة بأن إطلاق الإيمان على أفعال الطاعة يلزم منه اطلاق الكفر على أفعال المعصية، وبناء عليه يكون مرتكب المعاصي والكبائر كافرا مخلدا في النار. (Ibn al-ʿArabī, 2017, Vol. 2, pp. 16, 17, 20)

رابعا: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت:606هـ): الفخر الرازي من المتكلمين الذين اختاروا في تعريف الإيمان أنه التصديق في سائر كتبه الكلامية، ولكنه في نفس الوقت صرح بعدم تخطئة مذهب من قال أن الإيمان قول وعمل، ففي كتاب له جمع فيه مناقب الإمام الشافعي، تعرض لما اشتهر من الرواية عن الإمام الشافعي بأنه يقول أن الإيمان قول وعمل، فأورد ما رواه عنه في ذلك تلميذه الربيع بن سليمان المرادي وما رواه عنه ابنه: محمد بن الإمام الشافعي، دون أن يشكك في شيء من تلك الروايات. (al-Rāzī, 1986, p. 130)

وفي موضع آخر من هذا الكتاب وصف الفخر الرازي مذهب الإمام الشافعي في تعريف الإيمان بأنه قول قوي وغير معيب، وإن اختلف مع مذهب المتكلمين فقال:" وأعلم أن قول الشافعي لا يمكن جعله من المعائب، فإن الذي ذهب إليه مذهب قوي في الاستدلال والاحتجاج، إلا أن الذي اختاره علماء الأصول من أصحابنا هو هذا القول الثاني". (al-Rāzī, 1986, p. 146)

القول الرابع: الإيمان هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان.

وقال بهذا القول طائفة من أصحاب الإمام الأشعري المتقدمين والمتأخرين، منهم الحسين بن الفضل البجلي، وعبد الله بن كلاب، نقل هذا عنهما أبو القاسم الأنصاري (ت:512هـ) في شرحه على إرشاد الجويني وهو يذكر الاختلاف داخل المذهب قال:" وهل يشترط في الإيمان الإقرار؟ اختلفوا فيه بعد أن لم يختلفوا في أن ترك العناد شرط، وهو أن يعتقد أنه متى طولب بالإقرار أتى به، فأما قبل أن يطالب به منهم من قال: لا بد من الإتيان به حتى يكون مؤمنا وهذا القائل يقول: التصديق هو المعرفة والإقرار معا وهذا قول الحسن بن الفضل البجلي وهو مذهب أبو حنيفة وأصحابه وبقريب من هذا كان يقول الإمام أبو محمد عبد الله بن سعيد القطان من متقدمي أصحابنا". (al-Anṣārī, 2022, Vol. 3, p. 406)

ومنهم كذلك الحسين بن الحسن الحَليمي (ت:403هـ)، والذي توفي في حياة ابن حزم، والبيهقي (ت:458هـ) الذي عاصر ابن حزم وتوفي بعده بسنتين، وممن جاء بعدهم نذكر كذلك تقي الدين السبكي (ت:756هـ) وابنه تاج الدين السبكي (ت:771هـ).

أولاً: القاضي الحسين بن الحسن الحَليمي (ت:403هـ): ذهب الحَليمي إلى أن الإيمان مكون من قسمين وهما اعتقاد القلب وإقرار اللسان، وله في الإيمان كتاب: المنهاج في شعب الإيمان. (al-Ḥalīmī, 1979, Vol. 1, p. 25)

ثانياً: الحافظ أبو بكر البيهقي (ت:485هـ): وقد تأثر الحافظ البيهقي بمذهب الحَليمي ونحى نحوه، وله كتاب في الإيمان كذلك سماه: الجامع لشعب الإيمان، قرر فيه أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وقبل أن نسوق كلامه لا بد أن ننبه على أمر دقيق ومهم وهو أن الحافظ البيهقي يفرق بين (الإيمان بالله، والإيمان لله) ويفرق بين (الإيمان برسول الله، والإيمان لرسول الله) وهو موافق في ذلك لرأي الحَليمي، والمعنى أن الإيمان بالله وبرسوله هو التصديق، وهذا التصديق هو: اثبات وجود الله واثبات النبوة والرسالة لرسول الله عليه الصلاة

والسلام، ويكون اعتقادا بالقلب وإقرارا باللسان شهادة، في حين أن الإيمان لله ولرسوله هو طاعة وامتثال أوامرهما بفعل المأمورات وترك المنهيات والإقبال على الطاعات، وهذه الأعمال والطاعات ليست داخلة في مسمى الإيمان عنده وإن كانت فرع عنه وثمرة من ثمراته، ففي كتابه الجامع لشعب الإيمان نقل البيهقي أولا كلاما للحَليمي يفيد هذا المعنى مقراً له فقال:" فالإيمان بالله عز وجل ثناؤه: إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له القبول عنه والطاعة له، والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم: إثباته والاعتراف بنبوته، والإيمان للنبي صلى الله عليه وسلم اتباعه وموافقته والطاعة له، ثم إن التصديق الذي هو معنى الإيمان بالله وبرسوله منقسم، فيكون منه ما يخفى وينكتم وهو الواقع منه بالقلب ويسمى اعتقادا، ويكون منه ما ينجلي ويظهر وهو الواقع باللسان ويسمى إقرارا وشهادة". (al-Bayhaqī, 2003, Vol. 1, p. 90) ثم أكد هذا الكلام بعقده لباب بعنوان:" باب الدليل على أن التصديق بالقلب، والإقرار باللسان أصل الإيمان، وأن كلاهما شرط في النقل عن الكفر عند عدم العجز". (al-Bayhaqī, 2003, Vol. 1, p. 92)

ثالثاً: القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت:756هـ): يذكر القاضي تقي الدين السبكي في فتاويه أن أعمال الجوارح إن وجدت من المكلف تكون داخلة في مفهوم الإيمان، ولكنها إذا انعدمت بالكلية فإن انعدامها للقادر لا يلزم عنه بطلان إيمانه، لأن الأصل والقدر الواجب من الإيمان عنده هو التصديق والإقرار. (Taqī al-Dīn al-Subkī, n.d., Vol. 1, p. 54)

رابعاً: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت:771هـ): لم يستبعد التاج السبكي في كتابه: طبقات الشافعية الكبرى أن يكون الإيمان اعتقادا بالقلب وإقرارا باللسان، غير أنه حمل معني دخول الأعمال في مسمى الإيمان على امتناع المكلف من فعل المكفرات، ولو قربنا مذهبه بصيغة أخرى لقلنا أنه جعل العمل الداخل في الإيمان هو العمل بالمعنى السلبي، أي الامتناع عن عمل المكفر، وليس بالمعنى الثبوتي وهو المبادرة إلى فعل

الطاعات بالجوارح والأركان. (Tāj al-Dīn al-Subkī, 1992, Vol. 1, p. 98)

الانتقاد الثالث: انتقاد نسبة ابن حزم إلى الإمام أبي الحسن الأشعري أنه يقول إن من عرف الله بقلبه فهو مؤمن من أهل الجنة ولو أظهر اليهودية أو النصرانية

نسب ابن حزم إلى الإمام الأشعري وأصحابه أنهم يقولون: أن من أظهر اليهودية أو النصرانية أو سائر أنواع الكفر، إذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة، وهذا كلام غير صحيح فالمقرر في المذهب الأشعري أن التلفظ بالشهادة شرط لمعاملة المكلف معاملة المسلم في أحكام الدنيا، ومن امتنع من التلفظ بالشهادة لا يعد مسلما بل يعد كافرا كفر عناد، ولسنا بحاجة للتدليل على ذلك بنقل من الكتب، فقد تواتر في زماننا اعتبار اليهود والنصارى غير مسلمين في المذهب الأشعري وإن عرفوا الله بقلوبهم، ولكن قد تثار الشبهة حول الإمام أبي الحسن الأشعري نظرا لتقدم وفاته وعدم وصول أكثر مصنفاته إلينا، ولهذا ننقل نصا عن أبي بكر بن فورك يبين فيه أن الإمام الأشعري لم يكن يقول إن اليهود والنصارى مؤمنون من أهل الجنة، بل كان يقول أن الله تبارك وتعالى نفى عنهم الإيمان في كتابه نفياً قطعياً، قال ابن فورك:" وكان يأبى القول بأن في واحد ممن حكمنا له بالكفر من اليهود والنصارى والمجوس إيمانٌ بوجه من الوجوه، وكان يقول إن الله تعالى نفى عنهم الإيمان مطلقا، فقبول شهادة الله تعالى عليهم بانتفاء الإيمان عنهم أولى من دعواهم أنهم معتقدون للإيمان، مؤمنون بقلوبهم وذلك في قوله: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة:22]، فنفى عنهم الإيمان مطلقا وإنما يدل هذا الظاهر منهم على إيمان باطن دلالة على غلبة الظن، إذا لم يكن مانعا منه يجب القطع به ظاهرا أو باطنا". (Ibn Fūrak, 2022, p. 156)

في ختام هذا المبحث يتبين لنا بكل وضوح أن ابن حزم كان ضيق المعرفة وضحل الاطلاع على مقالات الإمام الأشعري وأصحابه، نظرا لبعد بلاد الأندلس وشح المصادر

المتعلقة بالمذهب الأشعري فيها في ذلك الزمن الذي ألف فيه ابن حزم كتابه الفَصْل، على عكس المشرق الإسلامي حيث وفرة الكتب والمراجع.

ونجد في الدراسات المعاصرة بحثا حول مدى اطلاع ابن حزم على التراث الأشعري للباحثة الألمانية **زابينة شميدكه (Sabine Schmidtke)** قد وصلت فيه إلى نفس هذه النتيجة في مقال نشر لها بعنوان: (Ibn Ḥazm's Sources on Ashʿarism and Muʿtazilism) (مصادر ابن حزم عن الأشعرية والمعتزلة)، وقد طبعت المقالة ضمن كتاب مُؤلَفٍ من مجموعة مقالات لمجموعة من الباحثين بعنوان: Ibn Hazm of Cordoba, the Life and Works of a Controversial Thinker. (ابن حزم القرطبي حياة وأعمال مفكر مثير للجدل)، ونتائج هذه المقالة بحسب ما وصلت إليه الباحثة نجملها في النقاط السبع التالية:

أولا: إن المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه ابن حزم في معرفة المذهب الاشعري هو كتاب لأحد تلاميذ الباقلاني، وهو قاضي المؤصِل: أبو جعفر محمد بن أحمد السِمناني (ت:444هـ) ولم يذكر ابن حزم اسم هذا الكتاب، ولكنه وصفه بأنه كتاب كبير، والقاضي أبو جعفر السِمناني تتلمذ على يديه الفقيه المالكي الأندلسي أبو الوليد الباجي (ت:474هـ) في رحلته إلى المشرق وهو من نقل كتبه إلى الأندلس فاطلع عليها ابن حزم.

ثانيا: إن جُل مقالات الباقلاني وابن فورك استقاها ابن حزم من كتاب أبي جعفر السِمناني، ومن المهم أن ننبه أن كتاب السِمناني الذي ينقل منه ابن حزم ليس هو كتاب السمناني المطبوع بعنوان: التبيان عن أصول الإيمان، لأن اقتباسات ابن حزم من كتاب السمناني الكبير لا توافق ما هو موجود في كتاب التبيان.

ثالثا: أن ابن حزم أشار إلى كتاب: الحرة للباقلاني والذي قد طبع بعنوان: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، وليس عندنا ما يؤكد أن ابن حزم نقل منه مباشرة أو

عن طريق كتاب السِمناني كمصدر وسيط، كما أن ابن حزم أشار إلى كتاب الأصول لابن فورك وتدل الصياغة إلى أنه ينقل عنه من مرجع وسيط.

رابعا: يشير ابن حزم إلى بعض كتب الإمام الأشعري، ومن غير المحتمل أن يكون عنده شيء منها، وأما عن تلاميذ الإمام الأشعري فلم يذكر ابن حزم إلا أبو عبد الله بن مجاهد الطائي أستاذ الباقلاني وابن فورك.

خامسا: لم تكن لابن حزم دراية تامة بكتب الباقلاني (ت:403هـ)، ككتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، وكتابه الكبير هداية المسترشدين وهو كتاب ضخم طبعت القطعة التي وصلتنا منه حديثاً في أربع مجلدات، ومن الواضح أنه لم يكن على علم بكتابات الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني (ت:418هـ) وهو أحد أقران الباقلاني وابن فورك، ولم يكن له دراية كذلك بكتابات تلميذه عبد القاهر البغدادي (ت:429هـ) وكانوا جميعا معاصرين له.

سادسا: لم يكن ابن حزم يعرف معاصره أبا المعالي الجويني (ت:478هـ)، ويبدو أن كتبه قد وصلت متأخرة إلى الأندلس بعد أن انتهى ابن حزم من تأليف كتابه والذي ألفه بين سنة 418هـ وسنة 440هـ ونقحه حتى سنة 450هـ.

سابعا: أما عن مصادر ابن حزم الشفوية فتفيد الباحثة أن أغلبها كان مصدره القاضي أبا الوليد الباجي، فقد كان أحد أهم محاوريه الذين تعرَّف من خلالهم على المذهب الأشعري. (Schmidtke, 2013, pp. 384–389)

نقد ومناقشة ابن حزم فيما نسبه إلى محمد بن كرَّام إمام الكرَّامية في تعريف الإيمان

قال ابن حزم:" وذهب قوم إلى أن الإيمان هو إقرار باللسان بالله تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه، فإذا فعل ذلك **فهو مؤمن من أهل الجنة**، وهذا قول **محمد بن كرَّام السِجِستاني وأصحابه**". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116)

وقد وقع ابن حزم في خطأ آخر في نقل مقالة ابن كرَّام وأصحابه، حينما نسب لهم أنهم يقولون أن من أقرّ بلسانه واعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن من أهل الجنة، وهذا لا يصح

عنهم فحقيقة قولهم أن من اعتقد الكفر بقلبه وأقر بلسانه يسمى مؤمنا في أحكام الدنيا ولكنهم يعدونه من أهل النار في الآخرة، فهو عندهم مؤمن مخلد في النار وليس كما قال ابن حزم أنهم يعدونه مؤمنا من أهل الجنة، وممن نقل هذا عنهم ثلاثة من أهل العلم بالمقالات، وهم عبد القاهر البغدادي (ت:429هـ) في كتابه أصول الدين (Abd al-Qāhir ʿ al-Baghdādī, 2002, p. 276)، وأبو الفتح الشهرستاني (ت:548هـ) في كتابه الملل والنحل (al-Shahrastānī, 1968, Vol. 1, p. 113)، وتقي الدين ابن تيمية الحراني (ت:728هـ) في مجموع فتاويه (Ibn Taymiyyah, 2004, Vol. 7, p. 141).

نقد ومناقشة ابن حزم فيما نسبه إلى الإمام أبي حنيفة ومن وافقه من الفقهاء في تعريف الإيمان

قال ابن حزم: "وذهب قوم إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان معاً، فإذا عرف المرء الدين بقلبه وأقر به بلسانه فهو مسلم كامل الإيمان والإسلام، وأن الأعمال لا تسمى إيمانا ولكنها شرائع الإيمان، وهذا قول أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهاء". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116) ورغم شهرة هذا القول عن الإمام أبي حنيفة فإن لنا فيه استدراكا على ابن حزم، وهو أن طائفة من المحققين من أهل العلم قالوا إن الخلاف في تعريف الإيمان بين الإمام أبي حنيفة والأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث خلاف لفظي صوري وليس خلافا حقيقيا.

وقبل نقل كلام المحققين من أهل العلم في هذه المسألة، لا بد أن ننقل أولا نقلا نفيسا جداً من كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله، يوضح فيه بأن الإيمان والعمل شيئان متلازمان لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، وهما بمثابة الظهر والبطن من الجسم، وهذا دليل قوي بأن الخلاف بينه وبين الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد خلاف لفظي، قال الإمام أبو حنيفة:" والاسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين

الإسلام والإيمان، ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام ولا يوجد إسلام بلا إيمان وهما كالظهر مع البطن". (Abū Ḥanīfah, 1979, p. 12) فهذا النص النفيس يبين أن الإمام أبا حنيفة يقول بالتلازم بين الإيمان والعمل وهذا التلازم يدل دلالة واضحة أنه لا يأخر العمل عن مفهوم الإيمان إذ أن ثبوت الايمان للمكلف عنده دالٌ على ثبوت العمل ولا انفكاك بينهما، والعكس صحيح فانتفاء العمل دال على انتفاء الإيمان.

وقد نصر هذا القول طائفة من المحققين من أهل العلم وقرروا أن الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وبين أهل الحديث والأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد في تعريف الإيمان خلاف لفظي، ومن هؤلاء المحققين نذكر: عبد الكريم الشهرستاني، وتقي الدين ابن تيمية، والذهبي، ومن الحنفية ابن أبي العز الحنفي ومحمد عبد الحي اللكنوي.

أما الشهرستاني فقد استنكر أن يُنسب الإمام أبو حنيفة إلى الإرجاء بدعوى تأخيره العمل عن مسمى الإيمان، مع ما عرف عنه من شدة تسمكه بالعمل وتحريجه الشديد على تاركه أو من تهاون فيه، وتأكيده على الترابط بين الايمان والعمل وكأن الشهرستاني يلمح إلى أن الخلاف بينه وبين من قال أن الإيمان قول وعمل لا يمكن إلا أن يكون خلافا لفظيا صوريا وليس خلافا حقيقياً، فقال:" كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة، وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان، والرجل مع تحريجه في العمل كيف يفتي بترك العمل؟". (al-Shahrastānī, 1968, Vol. 1, p. 141)

ونجد أن عبارة الذهبي في تقرير هذا المعنى مشابه لعبارة الشهرستاني، وقد تعرض الذهبي لهذه المسألة عند ترجمته لحماد بن أبي سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة وقد أشار إلى تلقي الإمام أبي حنيفة هذا القول منه فقال:" إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي

إن شاء الله، وإنما غلو الإرجاء من قال: لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض نسأل الله العافية". (al-Dhahabī, 1985, Vol. 5, p. 233)

ومن علماء الحنفية نذكر كلام الإمام ابن أبي العز الحنفي (ت:792هـ) ومحمد بن عبد الحي اللكنوي (ت:1304هـ)، قال ابن أبي العز الحنفي:" الاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزء من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد ". (Ibn Abī al-ʿIzz, 1997, Vol. 2, p. 462) وقال اللكنوي:" وخلاصة المرام في هذا المقام، أن الإرجاء قد يطلق على أهل السنة والجماعة مِن مخالفيهم المعتزلة، الزاعمين بالخلود الناري لصاحب الكبيرة، وقد يطلق على الائمة القائلين بأن الأعمال ليست بداخلة في الإيمان وبعدم الزيادة فيه والنقصان، وهو مذهب أبي حنيفة وأتباعه من جانب المحدثين القائلين بالزيادة والنقصان وبدخول الأعمال في الإيمان، وهذا النزاع وأن كان لفظيا كما حققه المحققون من الأولين والآخرين، لكنه لما طال وآل الأمر الى بسط كلام الفريقين من المتقدمين والمتأخرين أدى ذلك الى أن اطلقوا الإرجاء على مخالفيهم وشنعوا بذلك عليهم وهو ليس بطعن في الحقيقة على ما لا يخفى على مهرة الشريعة". (al-Laknawī, 1987, p. 368)

وقد هَوَّن ابن تيمة من شأن مخالفة فقهاء الكوفة في تعريف الإيمان، وجعل خلافهم مع أهل الحديث وأئمة المذاهب الثلاثة خلافاً لفظياً، ورد سبب اقتصارهم على تعريف الإيمان بأنه تصديق بالجنان وقول باللسان راجع إلى تحاشيهم للإلزام الذي احتج به الخوارج على تكفير صاحب الكبيرة حيث كانوا يقولون: إذا كان عمل الطاعة إيماناً فيجب أن يكون عمل الكبائر كفرا، قال ابن تيمية:" كان الفقهاء الذين يضاف إليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة، كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك،

وعلى أنه في الإيمان لا بد أن يتكلم بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب، فكان النزاع في الأعمال هل هي من الإيمان وفي الاستثناء ونحو ذلك عامته نزاع لفظي؛ فإن الإيمان إذا أطلق دخلت فيه الأعمال". (Ibn Taymiyyah, 2004, Vol. 13, p. 38)

نقد ومناقشة ابن حزم فيما نسبه إلى أصحاب الحديث وأئمة المذاهب الفقهية الثلاثة مالك والشافعي وأحمد، والمعتزلة والشيعة والخوارج في تعريف الإيمان ومفهومه عندهم

قال ابن حزم: وذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح، وأن كل طاعة وعملُ خيرٍ فرضاً كان أو نافلة فهي إيمان، وكلما ازداد الإنسان خيرا ازداد إيمانه، وكلما عصى نقص إيمانه. (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116)

ولنا تعقبان على كلام ابن حزم في عزوه هذا القول إلى هذه الفرق الثلاث معاً دون تفصيل، أما التعقب الأول فهو عدم نقله العبارة العلمية الصحيحة المحررة التي يعبر بها عامة أصحاب الحديث وسائر أئمة الفقه على مذهبهم في الإيمان واستعمل عبارة من عنده وهي عبارة مجملة تحتاج إلى بيان وتفصيل، وأما التعقب الثاني فهو كلامه الموهم أن مذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث موافق تماما لمذهب المعتزلة والشيعة والخوارج في مفهوم الإيمان وهذا ليس صحيحا ونبدأ بشرح التعقب الأول.

التعقب الأول: استعماله عبارة: (المعرفة بالقلب)

إن المعلوم والمتواتر عن أهل الحديث ومن وافقهم من أئمة الفقه ومن تبعهم أن الإيمان عندهم حقيقة مركبة من أربعة أركان:

الركن الأول والثاني: هما قول القلب وعمله: وقول القلب هو معرفته وتصديقه، وعمل القلب هي أفعاله؛ كالخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة...وغير ذلك من أعمال القلوب الباطنة. **الركن الثالث:** هو عمل اللسان: وهو إقراره وشهادته.

الركن الرابع: هو عمل الجوارح والأركان: وهي سائر أعمال العبد وطاعاته كالصلاة والزكاة والصوم والحج...وغيرها من العبادات البدنية الظاهرة، قال ابن القيم في كتاب الفوائد:" الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان، وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته". (Ibn al-Qayyim, 2019, p. 124)

ويصوغ أهل الحديث هذا المعنى بعبارة علمية محررة موجزة فيقولون: إن الإيمان قول وعمل ويقصدون بذلك أنه مؤلف من قول القلب وعمله، وعمل اللسان، وعمل الجوارح والأركان، كما بيّنَا آنفاً، وهذه العبارة هي العبارة المشهورة المتواترة عنهم وهي المدونة في كتبهم وبها نقل الإجماع عندهم.

ونسبة ابن حزم عبارة (معرفة بالقلب) في تعريف الإيمان إلى أهل الحديث تعبير مخالف لعبارتهم المشهورة، وموهم أن إيمان القلب عندهم هو المعرفة المجردة عن أي عمل قلبي، وهذا يعد إسقاطا لركن من أركان الإيمان عندهم، ولو أن ابن حزم قال إن الإيمان عند أهل الحديث قول وعمل لكان كلامه صحيحا دقيقا، ولاستغنى بهذا التعريف عن إضافة أي كلام آخر يبين إجمال عبارته تلك، ليوضح به أن أعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان عندهم.

وللتأكيد والتدليل على التزام أصحاب الحديث بعبارة: (الإيمان قول وعمل) نذكر كلاما للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت:256هـ) صاحب الصحيح وأمير المؤمنين في الحديث، ينقل فيه قول أئمة الحديث الذين أخذ عنهم تعريف الإيمان، وفي نقله كفاية ودليل على أنهم كانوا متفقون ومتوافرون على هذا التعريف ينقله بعضهم عن بعض، ثم نردف ذلك بأقوال أئمة المذاهب الفقهية الثلاثة مالك والشافعي وأحمد الموافقة لعبارة أصحاب الحديث التي نقلها البخاري، روى أبو القاسم اللالكائي بإسناده إلى الإمام البخاري رحمه الله أنه

قال:" كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول ". (al-Lālakāʾī, 2003, Vol. 5, p. 559)

وذكر الذهبي في السير عن محمد بن أبي حاتم وراق الإمام البخاري رحمه الله أنه سمعه قبل موته بشهر يقول:" كتبت عن ألفٍ وثمانينَ رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". (al-Dhahabī, 1985, Vol. 12, p. 395)

هذا فيما يتعلق بأصحاب الحديث وأما أئمة المذاهب الثلاثة فالروايات عنهم في ذلك كثيرة وتكفينا رواية عن كل واحد منهم اختصارا:

أولا: الإمام مالك: روى أبو بكر الخلال بإسناده عن عبد الله بن نافع قال: كان مالك يقول: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". (al-Khallāl, 1989, Vol. 4, p. 40)

ثانيا: الإمام الشافعي: روى البيهقي في مناقب الشافعي بإسناده عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: "الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص". al-Bayhaqī, 1970, Vol. 1, p. 385)

ثالثا: الإمام أحمد بن حنبل: قال أبو بكر الخلال: وأخبرنا أبو بكر المرُّوذي، وعبد الملك الميموني، وأبو داود السِّجستاني، وحَرْب بن إسماعيل الكِرماني، ويوسف بن موسى، ومحمد بن أحمد بن واصل، والحسن بن محمد كلهم يقول: إنه سمع أحمد بن حنبل، قال: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص". (al-Khallāl, 1989, Vol. 3, p. 582)

التعقب الثاني: وجه الاختلاف بين مذهب أصحاب الحديث ومذهب الخوارج والمعتزلة والشيعة في مسمى الإيمان

قال ابن حزم:" وذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح، وأن كل طاعة

وعملِ خيرٍ فرضا كان أو نافلة فهي إيمان، وكلما ازداد الإنسان خيرا ازداد إيمانه، وكلما عصى نقص إيمانه". (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116)

نسب ابن حزم تعريف الإيمان بكونه اعتقاد القلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح إلى كل من أصحاب الحديث والخوارج والمعتزلة والشيعة، فأوهم هذا أن قولهم في مسمى الإيمان قول واحد لا خلاف بينهم فيه، وهذا في الحقيقة ليس صحيحاً، لأن أصحاب الحديث يرون أن العمل ركن من أركان الإيمان، ولكنهم لا يرون أن العبد مكلف بأن يأتي بكل الأعمال جملة، بل يرون أن القدر الواجب لتحقيق الإيمان هو أن يأتي المكلف بجنس العمل أي شيء من العمل الواجب في الشريعة الإسلامية، وبناء على هذا فإن من قصَّر في فعل مأمور أو ترك محظور ينقص إيمانه بقدر تقصيره ولكنه يبقى مؤمناً ولا يخرجه تقصيره أو ارتكابه الكبائر من دائرة الإيمان عند أهل الحديث، في حين أن الخوارج ومن نحى نحوهم كالمعتزلة يرون أن العبد لا بد أن يأتي بجميع الأعمال دون تقصير أو نقص، ويعتقدون أن الإيمان شيء واحد لا يتبعض ولا يتجزأ فإذا نقص أو ذهب بعضه ذهب كله، فالإيمان عندهم إذا نقص زال بالكلية، فاقتراف كبيرة واحدة تذهب الإيمان كله عند الخوارج وتخرج صاحبها من الإيمان وتدخله في الكفر، في حين أن ارتكاب الكبيرة تخرج العبد من الإيمان ولا تدخله في الكفر عند المعتزلة وتجعله في منزلة بين المنزلتين بين الإيمان والكفر في أحكام الدنيا ويخلد في النار في أحكام الآخرة عندهم، قال ابن تيمية:" وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئا واحدا إذا زال بعضه زال جميعه وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان، ثم قالت الخوارج والمعتزلة الطاعات كلها من الإيمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان". (Ibn Taymiyyah, 2004, Vol. 7, p. 510)

وإذا تقرر هذا، ظهر خطأ ابن حزم في نقله لمذهب أهل الحديث والخوارج والمعتزلة في تعريف الإيمان حين نسب إليهم جميعا أنهم يقولون: إن العبد إذا عصى نقص إيمانه؛ لأن هذا هو قول أصحاب الحديث وحدهم دون غيرهم، ومن الخطأ نسبة هذا القول إلى الخوارج والمعتزلة لأنهم يقولون إن نقص الإيمان كفر.

نقد ابن حزم في نقله لمقالة محمد بن زياد الجريري الكوفي

قال ابن حزم:" وقال محمد بن زياد الجريري الكوفي: من آمن بالله عز وجل وكذَّب برسول الله صلى الله عليه وسلم فليس مؤمناً على الإطلاق، ولا كافراً على الإطلاق، ولكنه مؤمن كافر معاً، لأنه آمن بالله تعالى فهو مؤمن، وكافر بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر. (Ibn Ḥazm, 2019, Vol. 3, p. 116)

ومحمد بن زياد الجريري هذا رجل مجهول لم أجد من عرَّف به ولا من ترجم له، وقد ورد في بعض طبعات كتاب الفَصْل أن نسبته (الحريري) عوضا عن (الجريري)، وهذا الرجل ليس له ذكر في كتب العقائد والمقالات، غير أنني وجدت تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية قد نقل كلام ابن حزم هذا وعلق عليه غير أنه سمى هذا الرجل: (محمد بن زياد الجزري)، فخطر ببالي أنه قد يكون سبب جهالة هذا الرجل هو تصحيف وقع في اسمه، فبحثت عن (محمد بن زياد الجزري الكوفي) فوجدت رجلا بهذا الاسم، وهو من رواة الحديث متروك ومتهم بالكذب، غير أني لم أجد في ترجمته من نسب له هذه المقالة التي نقلها ابن حزم عنه، ورغم أني لا أجزم بأن هذا الرجل هو نفسه الذي قصده ابن حزم إلا أني سأذكر ترجمته على سبيل الإضافة العلمية لا غير، قال الذهبي في تذهيب التهذيب:" محمد بن زياد اليشكري الكوفي، وقيل: (الجزري) الطحان الأعور الفأفاء، ويعرف بالميموني، روى عن ميمون بن مهران، وعبد الكريم بن مالك، وابن عجلان وغيرهم، وعنه شيبان بن فروخ، ومحمد بن معاوية بن مالج، ومحمود بن خداش، وعقبة بن مكرم الكوفي، والفلاس وطائفة، قال أحمد: كذاب خبيث، وقال الفلاس: متروك كذاب" (al-Dhahabī, 2004, Vol. 8, p. 104)

وأما عن مقالته الغريبة هذه فقد قال عنها التاج السبكي:" وأفحش قولًا منه ما حُكِيَ عن محمد بن زياد الجزري الكوفي أنه قال: من آمن بالله وكذب برسوله صلى الله عليه وسلم فليس مؤمنا على الإطلاق ولا كافراً على الإطلاق، ولكنه مؤمن كافر معاً، وهذا المذهب كفر، ومع كونه كفراً فهو ضرب من الهذيان، ولا أعتقد أن أحداً ممن ينتمي إلى الإسلام ذهب إليه، ولعل الآفة من الناقل عن هذا الرجل، فلا ينبغي أن يعد هذا مذهباً". (Tāj al-Dīn al-Subkī, 1992, Vol. 1, p. 94)

وصدق التاج السبكي فإن هذه المقالة غريبة ومستهجنة جمع فيها صاحبها بين قول الجهم بن صفوان في الإيمان وبين قول المعتزلة في المنزلة بين المنزلتين، أما موافقته لقول الجهم فلأنه اعتد بمجرد الايمان بالله دون الإيمان برسوله وهذا ضلال بعيد، وأما موافقته للمعتزلة فلوضعه من كان هذا حاله في منزلة بين المنزلتين؛ أي أنه ليس بمؤمن وليس بكافر، وهذا كلام ملفق سمج يكفي مجرد شرحه لبيان تهافته وبطلانه عند أهل العلم والنظر، وبحسب اطلاع الباحث فإن هذه المقالة لم يقل بها أحد من أصحاب المقالات المشهورين، ولم تتبناها أي فرقة من الفرق الضالة رغم كثرة الفرق، ولم يذكرها أحد ممن ألَّفَ في المقالات والفرق سوى ابن حزم، وهي مقالة في أدنى دركات السقوط، ولذلك فقد نحى السبكي باللائمة على ابن حزم في ذكره لهذه المقالة في كتاب الفَصْل، وعَرَّض بتخطئته وتوهيمه في هذا النقل لغرابته وتفرده به دون غيره. وأما وصف السبكي لهذه المقالة بأنها كفر فلأنها تعد إنكارًا لمعلوم من الدين بالضرورة وهو كفر اليهود والنصارى ومشركي قريش، فقد اتفقت الأمة أنهم كانوا يؤمنون بالله ولا يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد وصفهم الله تبارك وتعالى بالكفر في كتابه العزيز ولم يجعلهم في منزلة بين المنزلتين كما زعم هذا الرجل، قال تعالى في سورة البيّنة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:1].

الخاتمة: النتائج والتوصيات

نجمل في ختام هذا البحث أهم النتائج والتوصيات:

1. تفرد ابن حزم بنقل مقالات غريبة ومنكرة عن بعض مشاهير العلماء، منهم الإمام الشافعي، وداود الظاهري، والحسن البصري، وعبد العزيز الكناني، ومقاتل بن سليمان.
2. أوضح البحث أن ابن حزم قد وقع في الخطأ عندما نسب إلى الجهم بن صفوان وأصحابه أنهم يحكمون بإيمان من أظهر اليهودية أو النصرانية أو أي ديانة أخرى إذا كان عارفا لله بقلبه، وقد قال أهل العلم أن هذا الكلام ليس صحيحا وأن الجهمية لا يثبتون الإيمان لمن كفره الله ورسوله نصا أو أجمع المسلمون على كفره كاليهود والنصارى.
3. بيّن البحث أن للإمام الأشعري ثلاث روايات في تعريف الإيمان: الرواية الأولى: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وقد قال ذلك في كتابه: الإبانة عن أصول الديانة، وفي كتابه مقالات الإسلاميين، والرواية الثانية: أن الإيمان هو التصديق بالله تبارك وتعالى وقد قال ذلك في كتابه: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، والرواية الثالثة نقلها عنه أبو بكر بن فورك في كتابه: مجرد مقالات الإمام أبي الحسن الأشعري، وهي أن الإيمان هو المعرفة بالله تبارك وتعالى، ولم تصل لابن حزم عن الإمام الأشعري إلا رواية واحدة وهي أن الإيمان هو المعرفة.
4. نسب ابن حزم إلى أصحاب الإمام الأشعري قولا واحد في تعريف الإيمان في حين أننا نجد لهم أربعة أقوال: القول الأول: أن الإيمان هو التصديق وهذا قول جمع منهم كابن فورك وأبي المعالي الجويني، والقول الثاني: أن الإيمان قول وعمل واختار هذا القول ابن مجاهد الطائي تلميذ الإمام أبي الحسن الأشعري، وأبو العباس القلانسي، وأبو علي الثقفي، والقول الثالث: اختار أصحابه القول بأن الإيمان هو التصديق ولم يخطؤوا من قال إنه قول وعمل، واختار هذا القول: القاضي أبو بكر الباقلاني،

وأبو حامد الغزالي، وأبو بكر بن العربي المالكي، ومحمد بن عمر الرازي، والقول الرابع: أن الإيمان هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان، واختار هذا القول طائفة من أصحاب أبي الحسن الأشعري المتقدمين والمتأخرين ومنهم: الحسين بن الفضل البجلي، وعبد الله بن كلاب، وأبو بكر البيهقي، والحسين بن الحسن الحَليمي، وتقي الدين السبكي، وابنه تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي.

5. أوضح البحث أن ابن حزم قد وقع في الخطأ عندما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري وأصحابه أنهم يقولون: إن من عرف الله بقلبه فهو مؤمن من أهل الجنة ولو أظهر اليهودية والنصرانية، وقد نقل أبو بكر بن فورك عن الإمام أبي الحسن الأشعري خلاف ما قاله ابن حزم.

6. أوضح البحث أن ابن حزم كان ضيق المعرفة وضحل الاطلاع على مقالات الإمام الأشعري وأصحابه، نظرا لبعد بلاد الأندلس وشح المصادر المتعلقة بالمذهب الأشعري فيها في ذلك الزمان الذي ألف فيه ابن حزم كتابه الفَصْلُ في الملل والنحل، على عكس المشرق الإسلامي حيث وفرة الكتب والمراجع.

7. أوضح البحث أن ابن حزم قد وقع في الخطأ في نقل مقالة محمد بن كرَّام إمام الكرّامية وأصحابه، حينما نسب لهم أنهم يقولون إن من أقرّ بلسانه واعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن من أهل الجنة، وهذا لا يصح عنهم فحقيقة قولهم إن من اعتقد الكفر بقلبه وأقر بلسانه يسمى مؤمنا في أحكام الدنيا، ولكنهم يعدونه من أهل النار في الآخرة، فهو عندهم مؤمن مخلد في النار وليس كما قال ابن حزم.

8. لم يشر ابن حزم لا من قريب ولا من بعيد إلى الرأي القائل أن الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وبين أئمة المذاهب الثلاثة في مسمى الإيمان هو خلاف لفظي صوري؛ لأن الإمام أبا حنيفة يقول أن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان، ويرى أن أعمال الجوارح هي من شرائع الإيمان ولوازمه التي لا تنفك عنه، وممن قال بأن

الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وبقية أئمة المذاهب الثلاثة لفظي: تقي الدين ابن تيمية والذهبي وابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية ومحمد بن عبد الحي اللكنوي.

9. أوضح البحث أن العبارة المعتمدة عند أهل الحديث وأئمة المذاهب الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد في تعريف الإيمان هي: أن (الإيمان: قول وعمل)، ويقصدون بذلك قول القلب وهو معرفته وتصديقه، وعمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح. غير أن ابن حزم قد نسب إليهم عبارة ليست محررة في تعريف الإيمان وهي أن الإيمان هو: (المعرفة بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح)، وهذه العبارة فيها خلل لأنه لا يوجد فيها ما يدل على أن أعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان، كما أن ابن حزم أوهم أن تعريف أهل الحديث والفقه للإيمان موافق تماما لقول المعتزلة والشيعة والخوارج وهذا ليس صحيحا، لأن أهل الحديث والفقه يقولون أن القدر المجزئ من عمل الجوارح هو جنس العمل وليس جميع الأعمال، وجنس العمل عندهم هو فعل واجب واحد على الأقل في شريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا مخالف لقول الشيعة والخوارج والمعتزلة الذين يوجبون فعل جميع الواجبات في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق الإيمان.

10. ذكر ابن حزم مقالة غريبة ومتهافتة في تعريف الإيمان نسبها لرجل مجهول اسمه: محمد بن زياد (الجريري) الكوفي، وورد في بعض طبعات الكتاب أن نسبته هي (الحريري) بحرف الحاء، ونقل كلام ابن حزم تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية غير أنه سمى هذا الرجل: محمد بن زياد (الجزري) بدلا عن (الجريري). وقد حكى ابن حزم عن هذا النكرة المجهول أنه قال: من آمن بالله عز وجل وكذَّب برسول الله صلى الله عليه وسلم فليس مؤمناً على الإطلاق ولا كافراً على الإطلاق، ولكنه مؤمن كافر معاً، وهذا كلام متهافت ساقط، لأن الإيمان والكفر أمران متناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، إضافة إلى أن هذا الكلام مخالف لنصوص الوحيين لما ورد فيهما من التنصيص على كفر النصارى واليهود ومشركي العرب وقد كانوا يؤمنون

بالله ولا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد عرَّض التاج السبكي بتوهيم ابن حزم في هذا النقل لشدة نكارته وتهافته وتفرده به.

توصيات البحث

أثبت هذا البحث أن لابن حزم أخطاء كثيرة في نسبة المقالات إلى أصحابها في باب تعريف الأيمان، وقد ذكرنا في أول البحث أن عليه مآخذات أخرى تتمثل في نسبته لمقالات منكرة لأئمة أعلام كالشافعي وداود الظاهري وعبد العزيز الكناني والحسن البصري ومقاتل بن سليمان في أبواب أخرى من أبواب العقيدة، تفرد ابن حزم بنقلها ونسبتها إليهم وقد تبين أنها لم تثبت عنهم، ولعل سبب هذه الأخطاء يعود إلى بعد الشقة بين الأندلس والمشرق الإسلامي وتأخر وصول العديد من كتب أهل العلم المشارقة إلى الأندلس إلى ما بعد وفاة ابن حزم، إضافة إلى أن ابن حزم لم يزر المشرق الإسلامي مطلقا حتى أنه توفي ولم يحج بيت الله الحرام، ولذلك فلم يكن له اطلاع على جملة ما ألفه المشارقة من متكلمي زمانه كالباقلاني، وابن فورك، وأبي إسحاق الإسفراييني، وعبد القاهر البغدادي، وأبي المعالي الجويني.

وبناء عليه فإن الباحث يوصي بعدم الاعتماد المطلق على كلام ابن حزم في نقل مذاهب الفرق والمتكلمين في باب تعريف الإيمان، ونوصي بالتأكد مما ينقله من مقالات عن الفرق وأصحاب المقالات في باقي أبواب ومباحث العقيدة، ونوصي دائما بعرض كلامه على كتب غيره من المؤلفين الذين ألفوا في علم المقالات، ككتاب مقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري، وكتاب التنبيه والرد لأبي الحسن الملطي الشافعي، وكتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، وكتاب المقالات لأبي القاسم البلخي الكعبي، وكتاب عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني، وكتاب البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل السكسكي الحنبلي وغيرها من كتب أهل العلم التي تكلم فيها أصحابها على مقالات الفرق.

كما أننا نوصي بكتابة دراسات جزئية أو دراسة شاملة لكتاب الفَصْل يتم فيها التحقق من صحة ما ينسبه ابن حزم إلى الفرق وأصحاب المقالات في سائر أبواب العقيدة ومقارنته بما يذكره غيره من أهل العلم الذين ألفوا أو تكلموا في مذاهب الفرق ومقالاتهم، هذا والله أعلم وأحكم، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

شكر وتقدير

يتقدّم الباحث بخالص الشكر والتقدير إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، بكلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وذلك تقديرًا للدعم العلمي والبيئة الأكاديمية المواتية التي وفّرها القسم، مما أسهم في بلورة فكرة هذا البحث وإنجازه.

تضارب المصالح

يقِرّ ويعلن الباحث أنه لا يوجد أي تضارب في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها له صلة بإعداد هذا المقال وكتابته ونشره.

مساهمات الباحثين

قام الباحث بتصميم هذا المقال بعنوان:" مقالات الفرق الإسلامية في مفهوم الإيمان عند ابن حزم من خلال كتابه: الفَصْل في الملل والنحل عرض ونقد" معتمدا على مصادر متنوعة، وقد جمع أهم الدراسات السابقة والمقالات ذات الصلة بموضوع البحث، وتوصل الباحث إلى أن لابن حزم أخطاء كثيرة في ضبط مقالات الفرق في باب تعريف الإيمان.

المصادر والمراجع

Abū Ḥanīfah. (1979). Al-Fiqh al-akbar (3rd ed.). Maṭba‘at Majlis Dā’irat al-Ma‘ārif al-‘Uthmānīyah.

Abū al-Qāsim al-Anṣārī. (2022). Sharḥ al-Irshād (1st ed.). Dār al-Ḍiyā’.

al-Ashʿarī, A. (1955). Al-Luma‘ fī al-radd ‘alá ahl al-zaygh wa-al-bida‘. Maṭba‘at Miṣr.

al-Ashʿarī, A. (1992). Risālah ilā ahl al-thaghr bi-bāb al-abwāb. Deanship of Scientific Research, Islamic University of Madinah.

al-Ashʿarī, A. (2005). Maqālāt al-islāmiyyīn wa-ikhtilāf al-muṣallīn (1st ed.). al-Maktabah al-‘Aṣrīyah.

al-Ashʿarī, A. (2011). Al-Ibānah ‘an uṣūl al-diyānah (1st ed.). Dār al-Faḍīlah.

al-Baghdādī, ‘Abd al-Qāhir. (2002). Uṣūl al-dīn (1st ed.). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

al-Bāqillānī, M. (2000). Al-Inṣāf fīmā yajib i‘tiqāduh wa-lā yajūz al-jahl bih (2nd ed.). al-Maktabah al-Azharīyah.

al-Bayhaqī, A. (1970). Manāqib al-Shāfi‘ī (1st ed.). Maktabat Dār al-Turāth.

al-Bayhaqī, A. (2003). Al-Jāmi‘ li-shu‘ab al-īmān (1st ed.). Maktabat al-Rushd.

al-Dhahabī, M. (1985). Siyar a‘lām al-nubalā’ (3rd ed.). Mu’assasat al-Risālah.

al-Dhahabī, M. (2004). Tadhhīb Tahdhīb al-Kamāl fī asmā’ al-rijāl (1st ed.). Dār al-Fārūq al-Ḥadīthah.

al-Ghazālī, M. (1985). Qawā‘id al-‘aqā’id (2nd ed.). ‘Ālam al-Kutub.

al-Ḥalīmī, H. (1979). Al-Minhāj fī shu‘ab al-īmān (1st ed.). Dār al-Fikr.

al-Juwaynī, A. (2009). Al-Irshād ilá qawāṭi‘ al-adillah fī uṣūl al-i‘tiqād (1st ed.). Maktabat al-Thaqāfah al-Dīnīyah.

al-Khallāl, A. (1989). Al-Sunnah (1st ed.). Dār al-Rāyah.

al-Lālakāʾī, H. (2003). Sharḥ uṣūl i‘tiqād ahl al-Sunnah wa-al-Jamā‘ah (8th ed.). Dār Ṭaybah.

al-Laknawī, M. (1987). Al-Rafʿ wa-al-takmīl fī al-jarḥ wa-al-ta‘dīl (3rd ed.). Maktab al-Maṭbū‘āt al-Islāmīyah.

al-Rāzī, M. (1986). Manāqib al-Imām al-Shāfi‘ī (1st ed.). Maktabat al-Kullīyāt al-Azharīyah.

al-Shahrastānī, M. (1968). Al-Milal wa-al-niḥal. Mu’assasat al-Ḥalabī.

al-Shahrastānī, M. (2004). Nihāyat al-iqdām fī ‘ilm al-kalām (1st ed.). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Ibn Abī al-ʿIzz, A. (1997). Sharḥ al-ʻAqīdah al-Ṭaḥāwīyah (10th ed.). Muʾassasat al-Risālah.

Ibn al-ʻArabī, M. (2017). Sirāj al-murīdīn (1st ed.). Dār al-Ḥadīth al-Kattānīyah.

Ibn al-Qayyim, M. (2019). Al-Fawāʾid (4th ed.). Dār ʻAṭāʾāt al-ʻIlm.

Ibn Fūrak, M. (1999). Al-Ḥudūd fī al-uṣūl (1st ed.). Dār al-Gharb al-Islāmī.

Ibn Fūrak, M. (2022). Mujarrad maqālāt al-Imām al-Shaykh Abī al-Ḥasan al-Ashʻarī (1st ed.). Dār al-Nūr al-Mubīn.

Ibn Ḥazm, A. (2019). Al-Faṣl fī al-milal wa-al-niḥal (1st ed.). Dār al-Faḍīlah.

Ibn Taymiyyah, A. (2004). Majmūʻ al-fatāwá. King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an.

Ibn Taymiyyah, A. (2004). Sharḥ al-ʻAqīdah al-Iṣfahānīyah (1st ed.). al-Maktabah al-ʻAṣrīyah.

Schmidtke, S. (2013). Ibn Hazm's Sources on Ashʿarism and Muʿtazilism. In Ibn Ḥazm of Cordoba: The life and works of a controversial thinker (pp. 383-408). Brill.

Tāj al-Dīn al-Subkī. (1992). Ṭabaqāt al-Shāfiʻīyah al-kubrá (2nd ed.). Dār Hajar.

Taqī al-Dīn al-Subkī. (n.d.). Fatāwá al-Subkī. Dār al-Maʻrifah.